اسهامات المراة المسلمة في علم الطب والصحة في الحضارة العربية الاسلامية

الدكتورة هيفاء سليمان الامام
استاذة الحضارة العربية الاسلامية في الجامعة اللبنانية الدولية
رئيسة تحرير مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية والمحكمة

الملخص:
تمتعت المرأة العربية المسلمة بحضور في مختلف المجالات العلمية والثقافية، وقامت بأدوار سياسية واقتصادية وشرعية وتعليمية وطبية، وساهمت بشكل كبير في إغناء الحركة العلمية والفكرية والأدبية ، فبذلك تكون قد ساهمت بدور كبير في بناء صرح النهضة العلمية وفي إقامة أسس الحضارة العربية الإسلامية.
كرَّم الاسلام المرأة ورفع من قدرها ومنحها حقوقًا حرمت منها مثيلتها في بلدان أخرى في ذلك العصر. فبينما كانت المرأة الأوروبية في ذلك الوقت تُعامل على أنَّها أقلُّ درجةٍ من الرجل، كانت المرأة العربية تتوسَّط الرجال وتتصدَّى برفقتهم للعدوّ وتُشاركهم حماية الدولة، وتقوم بمهامّ التطبيب والجراحة رغم صعوبتها.
ويتفق اغلب المفسرين القدامى والمعاصرين في التذكير أن رسالة القرآن الكريم هي دعوة عالمية تخص بشكل تام ومتساو كلاً من الرجال والنساء.
من هنا عرضنا في هذه الدراسة بعض النماذج المشعة التي تدل على مساهمة المرأة المسلمة في العلوم والثقافة بشكل عام وعلى دورها الفاعل في علم الطب بشكل خاص.
فالنساء المسلمات بصفة عامة برعن في ثلاث مجالات هي: **جراحة الحروب، القبالة وأمراض النساء، والكحالة وأمراض العيون**، ولعل أهمها كان المجال الأول، إذ كان يعتمد على النساء بشكل أساس.
الكلمات المفتاحية : المرأة المسلمة-علم الطب عند المسلمين- الحضارة العربية الاسلامية- مكانة المرأة -دور المرأة.

Summary
Arab Muslim women enjoyed a presence in various scientific and cultural fields, played political, economic, legal, educational, and medical

roles, and contributed significantly to the enrichment of the scientific, intellectual and literary movement, thus contributing a major role in building the edifice of scientific renaissance and in establishing the foundations of Arab-Islamic civilization .
Islam honored women raised their
values and granted them rights that were denied to them in other countries of the time. While European women at the time were treated as less likely than men, Arab women mediated with men, confronted the enemy, shared state protection, and performed medical and surgical despite their difficulty .
The majority of old and contemporary commentators agree that the message of the Qur'an is a universal call that belongs entirely and equally to both men and women.
Here we presented some radioactive models that show the contribution of Muslim women to science and culture in general and their active role in medical science in particular. Muslim women, in general, are brilliant in three areas: war surgery, midwifery, gynecology, case and eye diseases, the most important of which was the first area, which was mainly based on women .
key words : Muslim women - Muslim medical science - Arab Islamic civilization - the status of women - the role of women

المقدمة:

أسهمت النساء -على الأقل خلال القرون الأولى بعد وفاة النبي (ص)- في روعة تلك الحضارة، وإن كان التاريخ لا يذكرهن اليوم، ولا غرابة في ذلك ما دامت روح رسالة الإسلام جاءت لتخرج الرجال والنساء من حالة (الجهل) إلى حالة (العلم)، هذا العلم الذي يقول عنه رسول الإسلام ﷺ إنه فريضة على كل مسلم ومسلمة، فقد تمكن النساء والرجال، متشبعين بقوة المعرفة معززين بالإيمان، من إعطاء أفضل ما لديهم، وترك بصماتهم في دورة التاريخ الإنساني.

اشكالية الدراسة:

قدم المسلمون والعرب اسهامات عدة -في مختلف جوانب العلوم الطبية- للحضارة العالمية لأن علومهم كانت قائمة على البحث والتجربة والاختبار سواء في المختبرات أم في البيمارستانات (المستشفيات) اضافة الى ما استفادوا منه من الحضارات السابقة.
وكان للنساء المسلمات دور بارز في حقول العلم المتعدد وخاصة في علوم الصحة و الطب، من هنا جاء السؤال في هذا البحث يستوضح هل هناك نساء مسلمات احترفن

مهنة الطب في التاريخ الاسلامي ؟؟ ومن هن أبرز طبيبات الاسلام وما هي تراجمهن وانجازاتهن؟؟

اهمية البحث:

ان اهمية البحث في موضوع دور المرأة في علم الطب ابان عصور الاسلام، تكمن في تأكيد ولفت النظر الى ما كانت عليه المرأة المسلمة من مكانة علمية واجتماعية وما وصلت اليه أحوال المسلمين من ازدهار علمي واجتماعي في العصور الوسطى، حيث وصلت الحضارة الاسلامية الى أوج ازدهارها وعطائها العلمي وذلك بسبب عدم اهمال قدرات جميع مكونات المجتمع خاصة قدرات النساء ودورهن البارز والجليل.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث الى تعزيز انتماء اجيال الأمة وتنمية عناصر بناء شخصيتهم ودعم فخرهم بانتسابهم الى اعرق امة كانت صديقة الشمس حين كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتعريفهم على دور النساء في بناء الحضارة الإسلامية والذي قلما يُلتفت إليه، سواء على المستوى التاريخي أو الفكري، رغم انهن كن يعملن بنشاط للبحث والإنجاز العلمي الواضح في كل مناحي العلوم ، ومنها علم الطب.

منهجية البحث

اتبعت في هذه الورقة المنهج الوصفي التحليلي لاستقراء وعرض تاريخ النساء المسلمات ومكناتهن ودورهن في بناء حضارة مترامية الأطراف في جميع نواحي العلوم

. **الدراسات السابقة:**

على الرغم من كثرة المصادر عن الطب والأطباء الا ان المعلومات الخاصة بدور النساء في مهنة الطب كانت قليلة ومتناثرة لذا احتجنا الى كثير من الجهد لتجميع المعلومات عنهن . والعمل على استنباط ما بين السطور من اجل الحصول على معلومات واضحة عن مساهمة النساء المسلمات في مهنة الطب ، ذلك على امل ان نسد الثغرة ونحقق الفائدة المرجوة لسد الفراغ في المكتبة التاريخية الاسلامية، من هنا اعتمدت في هذه الدراسة على المصادر والمراجع التالية :

1. ابن ابي اصبعية: عيون الأنباء في **طبقات الأطباء**، نسخة بيروت، شرح وتحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة– بيروت1965

2. بلال غيث، بحث **دور المرأة المسلمة في العلوم ومساهمة العرب في الحضارة الإنسانية**، جريدة الخليج -الشارقة 2008/3/26

3. أبي الفرج الأصبهاني 356ه/967م، **اخبار النساء في كتاب الأغاني**، جمع وشرح عبد الأمير مهنا، نشر مؤسسة الكتاب الثقافية- بيروت، الطبعة الخامسة، دون تاريخ نشر.

4. حسان حلاق ، **تاريخ العلوم عند العرب**، دار النهضة العربية- بيروت 1991

5. عبد الرحمن المصطاوي ، اشراف عبد المجيد طعمة حلبي ، **أعلام النساء** ، دار المعرفة-بيروت، طبعة اولى 1423هـ/2002م.

6. عمر فروخ وماهر عبد القادر وحسان حلاق، **تاريخ العلوم عند العرب**، دار النهضة العربية -بيروت،1990
7. هدى السعدي و أميمة أبو بكر، **النساء ومهنة الطب في المجتمعات الإسلامية** من سلسلة أوراق الذاكرة مؤسسة المرأة والذاكرة سنة 2004م.

المبحث الأول: مكانة المرأة في الحضارة العربية الاسلامية:

1- مكانة المرأة في العصور الوسطى عامة :

حتى قرونٍ قليلة مضت كانت المرأة في أوروبَّا تُعامل على أنَّها مخلوقٌ من الدرجة الثانية أو الثالثة؛ بل وأُنزلت منزلةً أقلَّ من منزلة الرقيق، فكانت في نظر القساوسة ورجال الدين شرًّا لا بُدَّ منه، وإغواءً طبيعيًّا، وكارثةً مرغوبًا فيها، وفتنةً مهلكة، وشرًّا عليه طِلَاء، وكانت -من وجهة نظرهم- صورة حوَّاء التي خسر بسببها الجنس البشري جنَّات عدن، وآداة الشيطان المحبَّبة التي يقود بها الرجال إلى الجحيم.

وجعلوا المرأة خاضعةً للرجل؛ لضعف طبيعتها الجسميَّة والعقليَّة معًا، وجعلوا الرجل مبدأ المرأة ومنتهاها، وفُرِض الخضوع على المرأة عملًا بقانون الطبيعة، وعلَّموا أبنائهم أنَّ محبَّة الآباء أكثر وجوبًا من محبَّة الأمَّهات، ورأوا أنَّ الله قد خلق الرجل لا المرأة في صورته هو، وعليه فالزوجة يجب أن تكون خاضعةً لزوجها؛ بل يجب أن تكون له أقرب ما تكون إلى الخادمة.

وحين وُضعت القوانين المدنيَّة جاءت أشدَّ عداءً للمرأة من القانون الكنسي؛ فقد كان كلا القانونين يُجيزان ضرب الزوجة، كما ينصُّ على ألَّا تُسمع للنساء كلمةٌ في المحكمة "لضعفهنَّ"، ويُعاقب على الإساءة للمرأة بغرامةٍ تُعادل نصف ما يُفرض نظير الإساءة نفسها للرجل، وقد حرم القانون النساء حتى أرْقَاهُنَّ مولدًا من أن يُمثِّلن ضِيَاعَهِنَّ في برلمان إنجلترا أو في الجمعيَّة العامَّة للطبقات بفرنسا، وكان الزواج يُعطي الزوج الحقَّ الكامل في الانتفاع بكلِّ ما لزوجته من متاع وقت الزواج والتصرُّف في ريعه، ولم يكن يُرخَّص للمرأة أن تكون طبيبة، واعتبروها رجسًا كبيرًا، وفرضوا عليها -في بعض الأوقات- ألَّا تأكل اللحم، بل وفُرِض عليها الامتناع عن الضحك والكلام في ظروفٍ معيَّنة؛ فقبل قرونٍ -وفي بريطانيا تحديدًا- كان مصير المرأة كثيرة الكلام إلباسها قناعًا حديديًّا مع وضع قطعةٍ من الحديد في فمها حتى لا تتكلَّم، وبعض الأقنعة كانت تحتوي على جرس، ثم يتمُّ سحب المرأة في الشوارع والأسواق كنوع من التعذيب والعقاب لها!! كما قد كانت بعض القبائل العربية في الجاهلية تئد البنت حية خشية العار[1] وهذا قد تغير مع ظهور الإسلام ونزول الوحي على الرسول الكريم ﷺ الذي أعطى للمرأة مكانتها داخل المجتمع وساوى بينها وبين الرجل في عدة أمور. فالاسلام كرَّم المرأة ورفع من قدرها ومنحها حقوقًا حرمت منها مثيلتها في بلدان اخرى في ذلك العصر[2].

2- مكانة المرأة في الاسلام:

جاء في جريدة المونيتور الفرنسيَّة وهي تتحدَّث عن المرأة في الإسلام وتُصوِّر احترامه لها: **"لقد أحدث الإسلام ونبيُّه تغييرًا شاملًا في احترام المرأة العربيَّة في المجتمع الإسلامي، فمنحها حقوقًا واسعةً تفوق في جوهرها الحقوق التي منحناها للمرأة الفرنسيَّة"**.

فالإسلامُ حفظ للمرأة المسلمة مكانة محترمة ، ورفع قدرها، وأعلى شأنها، ومنحها الحقوق كافة التي يتمتَّع بها الرجل؛ فلها حقُّ التعبير عن رأيها، ولها ذمَّتها الماليَّة المستقلَّة، ولها حقُّ التعلُّم والتعليم، ولها حقُّ العمل، وغير ذلك من الحقوق التي حُرِمت منها المرأة في عصور الظلام الأوربّيَّة.

فبينما كانت تُعامل المرأة في أوروبَّا في ذلك الوقت على أنَّها أقلُّ درجةٍ من الرجل، كانت المرأة العربية تتوسَّط الرجال وتتصدَّى برفقتهم للعدوّ وتُشاركهم حماية الدولة، وتقوم بمهامِّ التطبيب والجراحة رغم صعوبتها.

أ- مكانة المرأة المسلمة في القرآن :

يتفق اغلب المفسرين القدامى والمعاصرين في التذكير أن رسالة القرآن الكريم هي دعوة عالمية تخص بشكل تام ومتساو كلاً من الرجال والنساء[3]، وباستثناء بعض الآيات التي خاطبت على الخصوص الرجال أو النساء، فإن معظم آيات القرآن تتوجه بالخطاب لهما معا على حد سواء ودون تمييز. وبهذا المعنى ينبغي إعادة قراءة بعض المفاهيم الأساسية لهذه الرؤية القرآنية العادلة، التي للأسف غالباً ما كان يُنظر إليها على أنها خطاب موجه بشكل أولى للرجال بل اعتبرت خطاباً مقصوراً على الرجال فقط.

لكن هذه المهمة التي جعلت من البشر، رجالاً ونساء، ممثلين للإرادة الإلهية على الأرض، هي أيضاً قبل كل شيء مسؤولية كبيرة تتمثل في الحفاظ على الخلق وثرواته وكنوزه الطبيعية، إن مسؤولية استعمال هذه الموارد دون استنزاف تتمثل في احترام القوانين الطبيعية وحماية مواردها.

ولتحليل دور المرأة في بناء هذه الحضارة، ينبغي، في مرحلة أولى، النظر وإعادة اكتشاف المفاهيم القرآنية التي مكنت من تشييد حضارة إسلامية أثرت بوضوح في جميع العالم، ولها أفضال على البشرية جمعاء لا يمكن إنكارها، ثم في المرحلة الثانية، إعطاء قيمة لإسهامات هؤلاء النساء أنفسهن في تاريخ الحضارة الإسلامية.

ب- دور المرأة المسلمة في بناء الحضارة :

كانت المرأة المسلمة تتمتع بالقوة والنفوذ، وتساهم في السلطة إلى جانب زوجها، فقد ان المرأة شاركت الرجل في مجال التربية والتعليم، وفي الأحداث الثقافية والفكرية. فنجد الفقيهات والطبيبات والمعلمات، والنسّاخات، وكان منهنّ المدرّسات أو أمينات المكتبات. وشغف النساء المثقفات كذلك بجمع الكتب وإنشاء المكتبات.

ولو أخذنا مثالاً واحداً يتعلق بتأسيس العلوم الإسلامية، ندرك جيداً أن ثمة آلاف النساء اللواتي كن خلال القرون الأولى المتتالية من الأوائل من بين أخريات في تأسيس العلوم الإسلامية، وبالخصوص علم الحديث الذي يعد من العلوم الأساسية في مجال العلوم الإسلامية.

وعليه فدور النساء العالمات كان فريداً في تاريخ البشرية قبل العصر الحديث، ولا يوازي الدور العظيم والبارز الذي لعبته في تطور وحفظ المعرفة الدينية الإسلامية خاصة السنة النبوية.

لقد أسهمت نساء عالمات كثيرات في بناء العلوم الدينية واستمرارها، وقد عوملن خلال المراحل الأولى باحترام وتكريم كبيرين.

ونجد في كثير من المخطوطات التاريخية لكثير من العلماء أسماء لنساء عالمات درسن لجموع مختلطة في حلقات دراسية، وفي هذه الحلقات الدراسية العلمية لم يكن هناك إبعاد لهن وكن يحضرن بصفتهن طالبات ومعلمات.

لقد اشتهرت إلى غاية القرن العاشر الهجري النساء العالمات المعروفات أمثال المسندات اللواتي يصادقن على صحة متن الحديث، ونجد أسماءهن في مخطوطات شهادات الإجازات التي يسلمن لطلبتهن الذين يحضرون دروسهن حيث توجد توقيعاتهن، وبقيت النساء العالمات يعطين الإجازات علناً حتى زمن الفتح العثماني.

نلاحظ اليوم أن المسلمين اعتادوا فقط على أسماء بعض النساء في عصر النبوة، في حين يجهلون آلاف النساء العالمات الموجودات خلال القرون الأولى بعد الجيل الأول، وهذا يشكل فراغاً كبيراً في ذاكرة هذه الحضارة، ونهمل بُعدا في تاريخنا المتميز.

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم العلوم الإسلامية عند الجيل الأول تشمل كل العلوم وليس فقط العلوم الدينية، الطب والفلك والأدب العربي إلخ ..

إن التزام النساء بالعلوم الإسلامية عموماً (علم الكلام والتاريخ والشريعة والنحو) ودورهن البارز في إغناء المعرفة والتعليم كان دوراً لا يمكن إنكاره، لكنه بدأ يتراجع منذ القرن العاشر الهجري، حيث بدأ اسم النساء في العلوم الإسلامية ينقص بشكل ملحوظ.

بعد القرن السادس عشر الميلادي إذن بدأ عدد النساء العالمات ينقص جذرياً، وبدأ تهميشهن شيئاً فشيئاً، بعدما أصبحت وظيفة العلماء رسمية، هذا التراجع الذي عرفته إضافات النساء يعكس التراجع الذي عرفته الحضارة الإسلامية عموماً.

وحرمان النساء وإقصائهن عن دائرة العلم شبيه بوأد البنات وهن على قيد الحياة في عصر الجاهلية، وعليه فمن يحرمهن من العلم يحرمهن بكل بساطة من أن يعشن حياة حرة ككل إنسان له عقل وذكاء ويقبرهن وهن على قيد الحياة! إن إقصاء النساء عن دوائر العلم وحبسهن في الحريم حيث اعتبرن مجرد أجساد لقضاء متعة أو وقت فراغ أو شهوة تافهة، وبذلك بدأ رسمياً دفن كل ما يمثل غنى الحضارة الإسلامية.

ولكن كلما شاركت النساء في بناء العلوم الإسلامية عموماً، كن غائبات في بناء الفقه الإسلامي، وعلى هذا المستوى صادفنا أحكاماً إقصائية للنساء ومفاهيم فقهية تعزز تهميش النساء وإقصائهن من مجال المعرفة الاجتماعي والفكري.

وقد زامن تراجع العالم الإسلامي مع تراجع الفكر الإسلامي وإسهامات النساء العلمية عموماً، كلما هوت الحضارة الإسلامية أصبحت النساء مختفيات والفكر الإسلامي منغلقاً

على ذاته، في حالة السبات هذه والضعف حيث وجدت كل المكونات التي هيأت الأرضية (الاستعمار والقابلية للاستعمار) لكارثة الاستعمار، لقد تم قصر المعرفة الدينية على ما ألفه الأولون، ولم يكن للعالم المسلم ليدافع عن نفسه ضد المستعمر إلا هذه التقاليد والعادات الثقافية، فحاصر المسلمون أنفسهم خلف ذواتهم وحافظوا على ما بقي لديهم من تقاليد وخاصة (حماية) النساء من العنف الاستعماري.

فأصبحت النساء رهينة مزدوجة رهينة من جهة تخلف الفكر والعلم الإسلاميين، ورهينة من جهة أخرى للصدمة الناتجة عن اللقاء مع الحداثة الداخلة عن طريق الاستعمار الثقافي، من هنا بدأ تطوير الصورة المهينة عن النساء في الإسلام الموجودة اليوم والتي روجت لها المدرسة الاستشراقية التي سبقت الاستعمار.

مع أن النساء كن بارزات علمياً وثقافياً خلال القرنين التاسع والعاشر بفضل الإسلام سلطته الدينية التي لا جدال فيها للمعرفة والعلوم، فقد أصبحن في نهاية القرن التاسع عشر ممنوعات حتى من دخول المعرفة والتعليم باسم الإسلام!

بعدما كانت النساء في العصر الوسيط قاضيات ومحدثات ومفتيات ومفسرات ومعلمات أصبحن بعد دخول الحداثة ممنوعات من كل وظيفة بدعوى الحفاظ على الهوية أو الحماية من المستعمر الذي يمثل قيماً حداثية لا تتوافق مع الإسلام، كل ما يعده المستعمر أو الغرب قيما كونية حتى وإن كانت هذه القيم في أصلها إسلامية في معناها الأخلاقي، كان المسلمون يحتجون عليها باعتبارها رمزاً لِما يرد من الخارج الإمبريالي.

إلى غاية اليوم وفي مناقشاتنا المعاصرة لما بعد الحداثة لازال إصلاح الفكر الإسلامي وتحرير النساء يعاني من هذا الانقسام في الفكر حيث لا نستطيع الانفكاك عن هذه الرؤية المزدوجة التي تفرض علينا رفض كل ما نظنه دخيلاً على ثقافتنا لمجرد أنه غربي، إذ نخلط بين ما هو إضافة كونية وما هو إضافة خاصة بثقافة ما، لقد شاطر المسلمون خلال العصر الذهبي قيمهم الكونية مع باقي الإنسانية، ولا أحد حاكم القيم الإسلامية في ذلك العصر على أنها غير مقبولة لكونها قادمة من ثقافة مختلفة، بل بالعكس استعاد الغرب كل القيم الإسلامية للعصر وطوروها لتصبح على ما هي عليه اليوم.

3- الحقوق القانونية للمرأة في الاسلام[4].

أ-الحقوق المدنية : المراد بالحقوق المدنية ما يشمل حق التملك والتدبر والتصرف وتكوين العلاقات في المسائل العامة وما إلى ذلك كله. من هنا فإن حقوق المرأة المسلمة المدنية تفوق حقوق كل امرأة في مختلف القوانين والحضارات القديمة والمحدثة.

وقد تطور حال المرأة في التاريخ بالنسبة لهذه الناحية تطورا عديدا كان آخر أمره أن ظفرت المرأة بقسط من المساواة مع الرجل في كثير من جوانب الحياة.

فالمرأة في الإسلام مخاطبة مثلها مثل الرجل، حيث إنها قادرة على أن ترتفع لأعلى درجات السمو الروحي والقرب من الله، كما أنها قادرة أن تلعب أدوارا كبيرة في الحياة العامة مثلما يلعبها أخوها، فلقد حاول الإسلام أن يوزع المسؤولية بين الرجل والمرأة،

ويخصص لكل واحد منهما ناحية من نواحي العمل الجدير به، إذ أنه لم يمنع المرأة من أي عمل تختاره لنفسها.
كما قد احتفظ الإسلام للمرأة قبل كل شيء بشخصيتها، فجعل اسمها بعد الزواج لا يتغير باسم زوجها، ولم يجعل الزواج علاقة بقضية التركات المالية أو غيرها مما تنبني عليه القوانين الوضعية حيث أعطاها حق التصرف فيما ملكته أو تملكه[5].
ب- **حق المرأة في طلب العلم**[6]**:** تجسد تعلم المرأة ابتداءا من الجيل الأول للنساء القدوة المؤمنات الصالحات العالمات والمعلمات زوجات النبي الكريم (ص) وغيرهم من كان لهن دور كبير في إرساء تعاليم الحضارة العربية الإسلامية، إلى العصور الزاهية للعطاء العلمي النسائي والحضور الاجتماعي الإيجابي وكذا المساهمة في بناء الحضارة الذي قد شهد له الكثير من داخل الحضارة وخارجها، تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة: **"ظلت المرأة في الإسلام تحتل مكانة أعلى وأرفع مما احتلته في الجاهلية وسار الركب وشاهد الناس سيدات يدرسن القانون والشرع ويلقن المحاضرات في المساجد، ويفسرن أحكام الدين، فكانت السيدة تنهي دراستها على يد كبار العلماء، ثم تنال منهم منهم تصريحا لتدرس هي بنفسها ما تعلمته فتصبح أستاذة وعالمة، كما لمعت من بينهن أديبات وشاعرات والناس لا تبدي في ذلك غضاضة أو خروجا عن التقاليد"**. كما أنه لابد من الإشارة كذلك إلى أن نساء الأندلس، وفي محاولة منهن للبحث والتحصيل، كن يسافرن من مدينة إلى أخرى طلبا للعلم، وخير مثال على ذلك نجده مع **ابنة فائز القرطبي** المجهولة الاسم والتي رحلت إلى غرناطة للتتلمذ على يد المقرئ أبي عمر الداني. وحين علمت بمرضه استفسرت عن من يشابهه في العلم للأخذ عنه ما تيسر من العلم، أما **أم الحسن بنت اللواء**، فكانت لصيقة بالباقي بن مخلد مثلها في ذلك مثل التلامذة الرجال .
ج- أماكن تلقي العلم للنساء المسلمات : كانت المرأة المسلمة تخرج من بيتها من اجل العلم، وكان المكان الأول الذي اتخذته المرأة وجهة للتعلم هو المسجد وذلك منذ عصر النبوة، كما كانت حجرات أمهات المؤمنين منارات للإشعاع العلمي والثقافي، فقد كن يستقبلن النساء اللواتي يسألن عن أمور دينهن، وقد أخذ العلم عن **عائشة** رضي الله عنها لوحدها حوالي 299 من الصحابة والتابعين، منهم 67 إمرأة كلهن يقصدن بيتها الذي كان بمثابة مدرسة وجامعة لمختلف العلوم، وهناك **أم سلمة** رضي الله عنها التي اشتهرت بالعلم وخاصة في مجال الفقه، فقد روي عنها كثير من الصحابة والتابعين بلغوا حوالي101، منهم 23 إمرأة.
ولقد تطورت أماكن التعلم مع تطور وازدهار الحضارة العربية الإسلامية حيث نشأت المدارس وتخصصت كل مؤسسة في مجال محدد، كانت هناك مدارس خاصة بالنساء خاصة في المدن الكبرى كبغداد والشام ومصر والأندلس والمغرب.
المبحث الثاني: علم الطب عند المسلمين بشكل عام

اهتم المسلمون بصناعة الطب اهتماماً كبيراً [7]، فتسابقوا لدراسته بكل نظرياته وقوانينه واصوله العملية والنظرية ومنذ بداية الاسلام وحتى اليوم نجد ان تاريخ الدولة الاسلامية حافل بأسماء اطباء عظماء خدموا دولتهم والعالم اجمع واسماؤهم ما زالت تتردد حتى اليوم في الاوساط الطبية في الشرق والغرب[8] . فمنذ عصر النبوة كان الرسول ﷺ يحث الصحابة دائماً على البحث عن الشفاء بوسائل العلاج والتطبب المعروفة مما شجع المسلمين على وضع علم الابدان في مصاف واحد في اهميته مع علم الاديان[9] .

1- مصدر العلوم الطبية عند المسلمين:

فالطب او علم الابدان العلم الحافظ للصحة الموجودة والراد للصحة المفقودة[10]، يعد من اكثر العلوم التي اولاها المسلمون رعايتهم واهتمامهم . وقد بدأ اهتمامهم بهذا العلم منذ بداية عهد الاسلام حينما كان الرسول ﷺ كما ذكرنا سابقاً يحث المسلمين على دراسة الطب والتخصص فيه[11]. ومن اجل دراسة هذا العلم دراسة مستفيضة اتجه المسلمون الاوائل الى قراءة التراث الطبي اليوناني والفرعوني والهندي والبابلي وقد كان للتراث الطبي اليوناني اكبر الاثر على الاطباء المسلمين حيث ان حضارة اليونان تعتبر من اكثر حضارات العالم ثراءً في الانتاج الطبي عكف الاطباء المسلمون على دراسة التراث الطبي اليوناني باجتهاد فقاموا بقراءته كله وترجمته ترجمة تفصيلية ثم اضافوا اليه خلاصة تجاربهم وملاحظاتهم العلمية الدقيقة واخرجوا نظريات طبية جديدة ما زال العالم يتحدث عن عظمتها حتى اليوم[12] .

وبسبب اهمية كتب التراث الطبى اليوناني كان من الواجب على طالب الطب ان يبدأ دراسته بقراءة اشهر كتبها مثل كتب **ابقراط وجالينوس**[13] . ثم بعد ذلك كان الطالب ينتقل الى كتب مشاهير الاطباء العرب ولقد كان الطالب يعتمد اساساً على اسلوب الحفظ عن ظهر قلب وكانت فكرتهم في ذلك تقوم على اساس ان الحفظ يحفظ المادة العلمية عبر السنين في حالات ضياع او تلف الكتاب او المصدر[14] .

2- منهج دراسة الطب وممارسته عند المسلمين

ولم يكن هناك منهج محدد او كتب معينة يجب ان ينتهي الطالب من دراستها حتى ينال الاجازة ولكن كان كل استاذ يعطي الطالب الاجازة وفقاً لتقديره وبوجه عام لم تتطلب دراسة الطب السفر والترحال الكثير مثلما كانت تقتضي دراسة العلوم الدينية . وربما كان هذا من العوامل التي يسرت هذا المجال للمرأة في المجتمع المسلم .

كانت هناك ثلاثة طرق رئيسية يستطيع من خلالها طالب الطب ان يحصل على الاجازة ويصبح طبيباً ممارساً للمهنة :

أ- دراسة الطب في المستشفيات: حيث كان الطالب يتدرب على مهنة الطب تدريباً عملياً فيقضي وقته مع المرضى يتابع حالاتهم المختلفة وتطورات امراضهم . والى جانب الدراسة العملية كان هناك جانب نظري لدراسة الطب في المستشفيات حيث ان معظم المستشفيات في العالم الاسلامي كانت تحتوي على قاعات للمحاضرات ومكتبات كبيرة [15].

ب_دراسة الطب في مدارس خاصة متخصصة : غالباً ما كان يقوم اطباء مشهورون بإدارة مثل هذه المستشفيات .

ج_طريقة التدريس الخصوصي : وهي حينما يلازم طالب واحد او طالبان على الاكثر طبيباً مشهوراً للتعلم منه وغالباً ما يلازم الطالب استاذه في العيادة والمستشفى والزيارات المنزلية يتعلم منه طريقة فحص المريض وتشخيص الامراض . وفي كثير من الاحيان يكون الاب هو الاستاذ او المعلم الخصوصي لابنه او لابنته حيث ان توارث مهنة الطب بين ابناء الاسرة الواحدة كان امراً شائعاً في العصور الاسلامية الاولى والوسطى .

والى جانب هذه الطرق الرئيسية في تعلم الطب، كانت هناك **طريقة تعلم الطب بالممارسة والخبرة العملية** بدون دراسة رسمية او منهجية . الا انه رغم وجود عدد كبير من النساء المسلمات الممارسات لطب العامة في هذه الطبقات هناك ادلة على وجود عدد لا بأس به من الطبيبات اللاتي درسن من خلال القنوات الرسمية وفي سياق مجتمع الصفوة وتعلمن على ايدي كبار الاطباء مثل القوابل اللاتي تعلمن الطب من الطبيب الاندلسي المعروف الزهراوي وعملن مساعدات له[16] .

3- اماكن ممارسة الطب في التاريخ الاسلامي:

وبعد ان ينتهي الطالب من دراسة الطب باي من الطرق السابقة الذكر يبدأ في ممارسة المهنة مباشرة في المستشفيات والعيادات او في بيوت المرضى . ويزور الطبيب المريض الغني في بيته حيث ان الاغنياء فقط كانوا قادرين على جلب الاطباء لعلاجهم في بيوتهم بينما يذهب ابناء الطبقة المتوسطة والفقيرة الى المستشفيات للعلاج حيث كان العلاج بالمجان . ويعد المؤرخون ان **خيمة رفيدة** احدى المسلمات الاوليات اول مستشفى في الاسلام وقد كان يتم فيها تضميد جروح المسلمين وعلاجهم في الحروب . وبعد هذه البداية التي وضعت اساسها امرأة في المجتمع الاسلامي الاول بدأ المسلمون يهتمون بالمستشفيات وعملوا على تطويرها وازدهارها في العصور التي تلت[17] . وقد ذكر لنا **المؤرخ احمد عيسى في كتابه تاريخ البيمارستانات** ان طبيبة تعرف بإسم **ابنة شهاب الدين الصائغ** كانت تعمل بدار الشفاء المنصوري اكبر مستشفى في مصر في العصور الوسطى وكان لها دور بارز فيه وسنتحدث فيما بعد عن هذه الطبيبة بالتفصيل.

والى جانب عمل المرأة في المستشفيات عملت المرأة ايضاً في العيادات وقامت بزيارات منزلية لمداواة مرضاها مثلها مثل الرجال فقد ذكر **الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك**[18] ان ابو الحسن المتطبب بباب المحول قال : جاءتنى امرأة ... فقالت لقد طفت لعلاج جرحى فوصفوا لي هذا المكان اريد ان تعالج شيئاً في كتفي قلت لها : انا كحال وههنا امرأة تعالج النساء وتعالج الجراحات فانتظري مجيئها فقعدت فقمت معها الى المتطببة لما جاءت اوصيتها بها فعالجت جرحها واعطتها مرهماً وهذا المكان الذي يتحدث عنه الطبري هنا هو مثل العيادة العامة بها تخصصات كثيرة من ضمنها

هذه الطبيبة الجراحة التي تعمل في نفس المكان مع الاطباء الرجال ويرشحها الرجال لمن يحتاج الى جراحة .

اما عن زيارات المرأة الطبيبة لمرضاها في البيوت فقد كانت كثيرة حيث ان القوابل والعاملات في مجال النساء والولادة كن يقمن بعملهن هذا في البيوت وقد تحدث ابن الحاج في كتابه المدخل الذي جاء فيه تسجيل لبعض جوانب حياة النساء في القاهرة المملوكية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي عن كيف كان الناس يستقبلون القابلات في بيوتهم والترتيبات التي كانت تقوم بها القابلة استعدادا لذهابها إلى بيت الحامل والمهام الخاصة بالتوحيد ورعاية الأم والطفل بعد الولادة .

4- طرق العلاج والمداواة واساليبه عند المسلمين

وبعد أن عرضنا الأماكن التي كان يمارس فيها الطبيب أو الطبيبة مهنة الطب نود أن نعرض أساليب العلاج وطرق المداواة التي كانت متبعة في هذه العصور [19]. وقد لاحظنا أن المؤرخين لم يقدموا لنا وصفا دقيقا لطرق علاج المرضى في هذه الفترة المعنية وقد يكون السبب في هذا ان طرق العلاج نفسها لم تكن دقيقة فنجد مثلا ان ابن أبي أربعة أشهر من آخر للأطباء لم يعطينا وصفا دقيقا لكيفية تشخيص الأمراض ومساواتها او اي تفاصيل للأدوية المركبة وطرق تركيبها ولكننا علمنا من كتب الحسبة معلومات عن بعض الممارسات الجراحية التي مارسها الأطباء في العصور الإسلامية الأولى والوسطى والتي كان من أشهرها وأهمها أسلوب الكي والقصد والجحامة والى جانب هذه الإجراءات الجراحية البسيطة عرف الأطباء في هذه العصور العمليات الجراحية المعقدة مثل جراحات البطن والفتق والدوالي والبواسير والنواصير كذلك عرفوا جراحات المسالك البولية وجراحات النساء والجراحات الخاصة بالأطفال هكذا كله فضلا عن جراحات الأورام والعظام وجراحات الحروب ولكن على الرغم من تطور أساليب الجراحة وتنوعها الا ان الأطباء في هذه العصور كانوا يفضلون تجنب التدخل الجراحى ويحاولون معالجة المرضى بالأدوية والعقاقير . وقد كان للمرأة نصيب كبير في مجال الجراحة وسنرى فيما بعد كيف ان الجراحات بوجه عام وعلى غير ما نتوقع او نعرف كانت من المجالات التي اشتغلت فيها ايضاً المرأة الطبيبة الى جانب القبالة والتوليد والكحالة والعيون . اما بالنسبة للادوية والعقاقير كان الاطباء في هذه العصور يهتمون بدراسة انواع العقاقير المختلفة ويحاولون اعداد وتجهيز انواع مختلفة من الترياق والدواء . وفعلاً نجح الاطباء المسلمون في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي في اكتشاف واعداد ثلاثة الاف نوع من الدواء لم تكن معروفة لغيرهم من الاطباء في البلدان الاخرى ولقد كانت هناك ثلاث فئات في المجتمع مرتبطة بإعداد الادوية والعقاقير

1_الشرابون: يبيعون عقاقير عبارة عن سوائل غالباً ما تصنع من العسل .

2_العطارون:يبيعون الاعشاب الطبية المختلفة والى جانبها يبيعون العطور والبهارات.

3_الصيادلة المتخصصون: على علم كبير بصناعة وحفظ الادوية والعقاقير البسيطة والمركبة[20] .

ومن المؤكد ان النساء عملن في مجال تركيب الادوية حيث تقابلنا تفاصيل عارضة عن استخدام النساء لقطرات او مراهم قمن بتركيبها مثل الطبيبة السالفة الذكر في الطبري **وزينب بنت بني اود** ستأتي لاحقاً والتي كانت تكحل من به رمد فتعالجه كذلك ذكرت لنا المصادر ان ابن سينا كان يستخدم قطرة بطب العيون ركبتها امرأة خبيرة بصناعة الطب . كما نقرأ ايضاً عن **ست الشام خاتون وهي شقيقة توران شاه** من ملوك بني ايوب المتوفية سنة 616 ه فكانت تتبنى وتشرف على تصنيع بدارها اشربة وسفوفات وعقاقير بمبلغ عظيم ليفرق على الناس .

وترتبط مهنة الطب في المجتمعات الاسلامية بوظيفة المحتسب وهو الموظف المختص بضبط الاخلاق العامة والاشراف عليها في الدولة الاسلامية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر[21] . وكان المحتسب يشرف على جميع المهن في المجتمع بما فيها مهنة الطب والصيدلة وكان يشترط على الطبيب ان يأخذ قسماً قبل الحصول على الاجازة لممارسة المهنة ويتاكد من قدرة الطبيب على تشخيص المرض والعلاج يطلب سائر الاطباء بما شرحه **يوحنا بن ماسويه المتطبب في كتابه المعروف بمحنة الطبيب** فمن وجده قيما بجميع ما حوته شروطه فصلا فصلا امره في معيشته ومن كان بضد ذلك صرفه عن هذه المعيشة ويمضى في الدروس فيلزم قراءة الكتب قبل انتصابه لمداواة الناس لما في ذلك من الضرر الواقع بالمرضى وقد دون المحتسبون في كتاناتهم اصول مهنة الطب وشروط ممارستها وعلاقاتهم المباشرة بالاطباء وعلى رأسهم شيخ الاطباء او رئيس الاطباء الذي كان يتولى هذا المنصب بتعيين من المحتسب .

وعلى الرغم من ان المحتسب ذكر تفاصيل دقيقة عن مهنة الطب الا انه لم يذكر شيأً عن المرأة الطبيبة ولكن في اغلب الظن ان المحتسب حينما تحدث عن الطبيب كان يقصد اي شخص يمارس مهنة الطب رجلاً كان او امرأة فمن المؤكد انه كانت هناك علاقة مباشرة بين المحتسب والمرأة الطبيبة حيث ان المحتسب كان يشرف على مهنة الطب بكل تخصصاتها بما فيها مجال النسا والولادة الذي كان مليئا بالنساء طبيبات وقوابل وممرضات[22] .

المبحث الثالث: ذكر النساء المسلمات البارزات في العلوم الطبية

بالرغم من الحضور الذي خلدته المرأة العربية والمسلمة في مختلف المجالات، وقيامها بأدوار سياسية واقتصادية وشرعية وتعليمية وطبية وإسهامها الكبير في إغناء الحركة العلمية والفكرية والأدبية [23] والدور الذي قامت به في بناء صرح النهضة العلمية وفي إقامة أسس الحضارة الإسلامية، إلا من خلال اطلاعنا على كتب التراجم والطبقات[24] ، نجد أن حضورهن فيها قليلا إذ أصبحت أعدادهن تتناقص بشكل ملحوظ، يرجع ذلك إلى التقاليد التي كانت تسود المجتمع الإسلامي آنذاك فتم حجب الدور الفعال التي لعبته النساء في مختلف مجالات العلوم .فقد نبغ في مختلف مراحل

التاريخ الإسلامي الآلاف من العالمات المبرّزات والمتفوقات في أنواع العلوم وفروع المعرفة وحقول الثقافة العربية الإسلامية.

أوَّلًا: طبيبات في عصر النبوة:

ورغم فرادة تلك الإنجازات وأهميتها، نجد القليل من المعلومات المتوافرة عنها، وفي محاولة لاكتشاف هذا الجزء من التاريخ الإسلامي، نتناول في هذا الموضوع السير الذاتية لمجموعة من النساء اللواتي كان لهن أدوار ملموسة في حقل الطب والمداواة على وجه الخصوص[25]، ومعظمهن ينتمين للعصر الإسلامي الأول - عصر الرسول (ص) والصحابة رضي الله عنهم -فبحسب كتاب **"النساء ومهنة الطب في المجتمعات الإسلامية"**، فإن النساء تخصصن بصفة عامة في 3 مجالات: **جراحة الحروب، القبالة وأمراض النساء، والكحالة وأمراض العيون**، فهناك 7 طبيبات من 24 طبيبة تخصصن في جراحة الحروب بينما 11 اشتغلن في القبالة وأمراض النساء، واثنتان فقط عملتا في مجال طب العيون، والبقية لم تحدد تخصصاتهن، ولعل أهمها كان المجال الأول، إذ كان يعتمد على النساء بشكل أساسي في إخراج السهام من جرحى الحروب وتطهير الجروح والمحافظة على نظافتها ووقف النزيف وأحيانًا البتر والكي[26] .

وإذا أردنا أن نتصور دورهن بشكل أدق، فقد كانت مسؤولياتهن تتراوح بين الإسعاف المباشر في ميادين القتال بين السهام والخيول إلى نقل الجرحى تجاه الخطوط الخلفية إلى خيم المداواة، ثم نقل الجثث على ظهور الجمال إلى أماكن الدفن، فبعدما هاجر النبيُّ عليه السلام إلى المدينة، ومع بداية مرحلةٍ جديدةٍ من مراحل الدعوة كُتِبَ على المسلمين فيها المواجهة المسلحة مع أعداء دينهم، تطوَّر دور المرأة المسلمة وارتقى إلى مستوى الأحداث؛ فشاركت في الغزوات طبيبة تُداوي المرضي وتُعالج الجرحى وتعدُّ الدواء، وفي هذه الغزوات أدرك المسلمون حاجتهم للمستشفى الميداني الحربي، فضُربت خيامٌ تستقبل الجرحى والمصابين، وأصبحت المرأة عنصرًا أساسيًّا في خدمات التمريض والإسعاف وتضميد الجراح، وجَبْر العظام، ووقف النزيف، والإشراف على المرضي، وكانت مهمتهنَّ جدُّ خَطِرة وعظيمة؛ فهنَّ يقتحمن ساحة القتال لإخلاء المصابين. من هنا ساهمت المرأة بخبرتها في الطب وكذا الصيدلة في الغزوات والحروب التي خاضها المسلمون مع النبي ﷺ و كذلك بعد وفاته، وخير مثال على ذلك:

1- رفيدة بنت سعد الأسلمية [27]الخزرجية الأنصارية التي ذكرها ابن الأثير في اسد الغابة وابن حجر في الاصابة في تمييز الصحابة ، وهي من جيل الصحابيات، كانت أولُ طبيبة وممرضةٍ في الإسلام؛ اصلها من المدينة المنورة اسمها الأصلي كعيبة بنت سعد الاسلمي ، تنتمي إلى قبيلة بني أسلم، إحدى قبائل الخزرج في المدينة المنورة. سميت برفيدة، اي من الرفادة وهو العطاء المستمر واعطاء الخير والاعانة سميت بذلك

لعطائها وخيرها الملموس في حياة المسلمين في صدر الاسلام اي في وقت الرسول والصحابة.
وكانت هذه المرأة من اوائل الذين دخلوا في الاسلام وان كان التاريخ اهمل الحديث عنها وعن ميلادها ووفاتها الا انها تركت بصمات كبيرة في المجتمع. فقد نشأت في اسرة طبية ، ابوها سعد الأسلمي كان طبيباً من زمن الجاهلية وكان يتعامل بالكهانة وهو طب غير مشروع في الاسلام، وقد استنكرت رفيدة العلاج بالكهانة التي كان يستعملها والدها، حيث كان لديها قناعة داخلية بأن هذا الاسلوب خاطئ وخاصة ان ابوها كان يحب المال ويعمل على كسبه بهذه الطرق.
كانت رفيدة تسمع عن الدين الجديد وكانت وتتأثرة به، وقد شعرت بأن هناك ما هو مشترك بينه وبين فكرها الانساني الخير، فاحبت ان تتعرف على الرسول (ص) ، لذا قررت لقاء مبعوثه الى المدينة مصعب بن عمير ودار بينهما حوار علمي حتى اقتنعت بمبادئ هذا الدين الجديد، فكانت مكسباً له، حيث تعمقت فيه ، ووجدت ضالتها فيما يتماشى مع رسالتها في الطب والتمريض .
كانت رفيدة الاسلمية من كريمات النساء والصحابيات المجاهدات، بايعت الرسول ﷺ بعد الهجرة واشتركت في غزوتي الخندق وخيبر وكانت رضي الله عنها قارئة وكاتبة وتعلمت الطب فتفوقت في هذا العلم وهذا المجال على قريناتها من النساء والرجال.
ولما دخلت في الاسلام استقبلت الرسول (ص) اثناء الهجرة وذهبت اليه لتعرض عليه ان تكون خادمة للدين وطلبت منه الاذن للمشاركة معه في الغزوات لتمريض الجرحى ومداواتهم ، فاذن لها ولم يعاملها على انها امرأة بل رحب بها وشجعها. وكانت صاحبة ثورة واسعة ومهارة في صنع الادوية وتضميد الجروح قد استهوتها حرفة التمريض ومهنة التطبيب.
واحبت مهنتها وعملت فيها معتمدة على مبادئ الدين الرحوم السموح الخير، وكانت في أوقات السلم والرخاء، دربت وعلمت الكثيرات من الفتيات ونساء الصحابة على فنون الإسعاف والتمريض، والطب وقد خرجت مجموعات من النساء وذلك قبل غزوة خيبر.
وحين أصبحن قادرات على مزاولة المهنة، قسمت فريق الممرضات إلى فريقين: أحدهما يعمل في النهار والآخر في الليل.
وحين كان جيش المسلمين يستعد لهذه الغزوة، ذهبت رفيدة ومجموعة من الممرضات المتطوعات الى رسول الله ﷺ يطلبن منه الاذن للمشاركة بعلاج الجرحى ومساعدتهم وقد اذن لهن عليه الصلاة والسلام بالذهاب فشاركن في غزوة خيبر، حيث كن يعالجن الجرحى ويقمن بواجباتهن، فلما انتهت المعركة جاء رسول الله ﷺ وتقديرًا من النبيّ (ص) لهذا الجهد، كان يُعطي رفيدة حصَّة مقاتل اي سهماً كاملاً كما يعطي الرجل المجاهد، لدورها المهم الذي كانت تقوم به. كما كان الرسول (ص) يعطي وسام الشرف

والتقدير للمرأة في عصره، ويُكرم المجدَّات منهن بمنحهنَّ قلائد، ويَقْسِمُ لهنَّ من الفيء[28]؛ فقد منح النبي (ص) **أميمة بنت قيس الغِفَارية**[29]
قلادة تقدير علَّقها بيده الشريفة في عنقها، فكانت لا تُفارقها أبدًا، وظلَّت في عُنُقها حتى ماتت، وأوصت أن تُدفنَ معها رضي الله عنها.
كان العرب قديماً يطلقون اسم جميل على الممرضات او الطبيبات وهذا الاسم كان **الأواسي او الآسيات**[30] وفي هذا الاسم معنى الموأساة لان المريض يحتاج الى المواساة اثناء الامه ومعاناته . فقد اسست **رفيدة** من الآسيات فريق عمل كن صديقتها، حيث كان لهن دور كبير في انقاذ عدد كبير من الجرحى من الجنود والقادة وكان وجودهن له دور كبير كن يحملن الادوات على الجمال ويحضرن بناء مجموعة من الخيام تمثل مستشفيات متنقلة. كان من ضمن صديقات رفيدة ممرضة مشهورة اسمها **ام عطية نسيبة بنت الحارث** التي ذكرها ابن الاثير تخصصت في الكحالة، واخرى اسمها **الربيع بنت معوض** من المدينة كانت من اوائل المسلمات المبايعات للرسول عند الشجرة، وقد تخصصت بجراحة الحروب. **وام سليم ومعاذ الاسلمية** ممرضات معلاجات كن يسمين الاسيات .
ومن هؤلاء الآسيات: **ليلى الغفاريَّة** التي اشتهرت بإجراء العمليات الجراحيَّة البسيطة، و**كعيبة بنت سعد بن عتبة**، من المدينة عاصرت الرسول (ص) وتخصصت بالجراحة والحروب وذكرها ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير، **وكريمة بنت كلثوم الحميريَّة**، و**معاذ الغفارية** وهي من المسلمات الاوائل في المدينة تخصص جراحة وحروب ذكرها ابن الأثير في اسد الغابة، و**حمنة بنت جحش بن رياب تُكنَّى أم حبيبة**، أخت زينب بنت جحش زوج النبي (ص) **وأم سنان السلميَّة**. وسلمى ام رافع مولاة الرسول ﷺ من المدينة التي ذكرها ابن حجر وهي متخصصة في جرحى الحروب.
إنَّ وجود المرأة المسلمة في هذا الميدان وبهذه الصفة لَيُثبت ويُؤكِّد عظمة الإسلام في تقديره للمرأة، ومنحها حقًّا من حقوقها في مشاركة الرجل في الدفاع عن الدين، وقيامها بعملٍ من أرفع الأعمال وأجلها؛ وهو معالجة المرضى والمصابين، كما أنَّ قيامها بهذا الدور الخطر لَيُؤكِّد جدارتها به، ونجاحها فيه، وليس أدلَّ على ذلك من رضا رسول الله ﷺ عن فعلهنَّ وثنائه عليهنَّ.
من اقوال الممرضات المرافقات لرفيدة كانت تقول **ام ربيع** : **"كنا مع الرسول** (ص) **نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى الى الخيام"**. كن يداوينهم مؤقتاً ثم يعيدونهم حسب الحالة. ثم كانوا يرجعون الحالات الصعبة الى المدينة . ومن اقوال **ام عطية الانصارية**[31]**: "غروت مع الرسول** (ص) **سبع غزوات"** هذا دليل على مشاركتهن مشاركة معالة في المعارك .
ولم تكن **رفيدة بنت سعد الاسلمي** أول طبيبة فحسب بل كانت ايضاً أول معلمة طب في الاسلام واول من جعلت من مهنة الطب رسالة انسانية وليست تجارة للربح المادي والآني.

والاعجب من هذا، انها كانت تشتري الادوات من مالها الخاص وكانت ايضاً تنفق من مالها على الفقراء والمساكين كان تفكيرها الى الاعلى والهدف رضى الله ولم تشتغل في الدنيا لاجل الدنيا بل من اجل الناس وبهذا العمل تتقرب من الله عز وجل.

ورفيدة تمتعت بمكانة كبيرة عند الرسول (ص) بسبب عملها المنظم والعلمي . وكرست نفسها للتمريض والعناية بالمرضى، فأصبحت معالجةً خبيرةً وبدأت تصاحب النبي محمد(ص) في غزواته، إذ اعتاد الرسول أن يأمر بنقل الجرحى إلى خيمتها حتى تتمكن من معالجتهم وتضميد جروحهم[32] .

وعندما لم تكن في ميادين القتال لأداء واجبها، كانت تنتظر عودة المنتصرين ومعهم الجرحى إلى المدينة لمداوتهم وتقديم العلاج لهم، مثلما فعلت بعد انتهاء غزوة بدر حيث أسست مستشفى متنقل باسم "خيمة رفيدة"، وكانت تنقل أدواتها فوق ظهور الجمال ثم تقيمها بالقرب من معسكر المسلمين، وبذلك أصبحت **"خيمة رفيدة"** أول مستشفى ميداني في الإسلام. وهذه الخيمة كانت عبارة عن خيمة إسعافية تستقبل فيها الجرحى والمصابين؛ لتقوم بإسعافهم بمساعدة بعض الصحابيات الجليلات، فتسعفهم وتداويهم بمعرفتها الطبية، وخبرتها العلاجية المعروفة في ذلك الوقت.

وكانت رضي الله عنها رئيسة ذلك المستشفى النبوي الحربي، وبذلك أصبحت أوّل ممرّضة عسكريَّة في الإسلام، ولُقِّبت **بالفدائيَّة** لجرأتها في اقتحام ميدان المعركة، وعدم رهبتها من أسنَّة الرماح. وممَّا يُؤكِّد براعتها وحنكتها ودرايتها .. حسنُ تصرُّفها مع الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه ، الذي اصابه جرح غائر، فأمر الرسول ﷺ بحمله الى خيمتها وهي صاحبة ، فحين رأت انغراس السهم في صدره تصرَّفت بحكمةٍ ووعيٍ وأسرعت بإيقاف النزيف، ولكنَّها أبقت السهم في صدره؛ لأنَّها كانت تعلم أنَّها إذا سحبته أو أخرجته سيُحدث نزيفًا لا يتوقَّف من مكان الإصابة،

عُرفت رفيدة كممرضة لطيفة ومتعاطفة ومنظمة إلى حد كبير، عملت أيضًا كاختصاصية اجتماعية، للمساعدة في حل المشكلات الاجتماعية المرتبطة بالمرض، بالإضافة إلى مساعدتها لأطفال المحتاجين ورعاية الأيتام والفقراء. وعكست بريادتها الثقافية الاسلامية التي خصت المرأة بمكانة رفيعة .

ويُروى عن أنس رضي الله عنه قال: **"كان النبي ﷺ يغزو بأمِّ سليم ونسوةٍ معها من الأنصار يسقين الماء ويُداوين الجرحى"**.

تردد اسمها عدة مرات في الوثائق التاريخية وأذكار السابقين، إذ كتب أحمد شوكت في كتابه "تاريخ الطب وآدابه وأعلامه"، أن رفيدة كانت طبيبة متميزة، لذلك اختارها الرسول (ص) لتؤدي العمل في خيمة متنقلة، كما **روى مسلم عن عائشة** زوجة الرسول (ص) أنها قالت: "أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق، رماه رجل من قريش في الأكحل (كوع اليد أو الوريد المتوسط في اليد) فأمر الرسول رفيدة أن تقيم خيمة في المسجد ليعوده من قريب".

يقول ابن كثير ان رسول الله (ص) قال لاصحابه حين اصيب سعد بن معاذ بالسهم اجعلوه في خيمة رفيدة وذكر **ابن حجر العسقلاني في كتابه الاصابة** في يميز الصحابة كيف ان رفيدة عندما رأت غراس السهم في صدر سعد تصرفت بحكمة ووعي كبير فأسرعت في ايقاف النزيف اولاً ولكنها ابقت السهم في صدره مكانه لانها كانت تعلم انها اذا سحبته او اخرجته سيحدث نزيف لا يتوقف من مكان الاصابة وكانت تعاين في وقت السلم ايضاً كانت قدوة حسنة في عصرها وكانت مثل نبيل ليقتدين بها في هذه الاعمال الجليلة.

وقال أيضًا ابن إسحاق في السيرة: "كان رسول الله (ص)، قد جعل ابن معاذ في خيمة لامرأة من بني أسلم يقال لها رفيدة في مجلسه"، وقال الرسول (ص) للقوم حين أصاب السهم ابن معاذ بالخندق "اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب".

وروى البخاري في الأدب المفرد عن محمود بن لبيد قوله: "ولما أصيب أَكْحَلُ سعد يوم الخندق، فقيل حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة، وكانت تداوي الجرحى وكان رسول الله، ﷺ، إذا مر به يقول: كيف أمسيت؟ وإذا أصبح قال: كيف أصبحت؟ فيخبره". وقد سماها **ابن سعد** كعيبة، فقال: "كعيبة بنت سعد الأسلمية بايعت بعد الهجرة، وكان لها خيمة بالمسجد تداوي الجرحى".

2- الشفاء بنت عبد الله العدوية[33]: كان لدى الشفاء بنت عبد الله حضور قوي في التاريخ الإسلامي، حيث كانت واحدة من النساء الحكيمات في ذلك الوقت، وكانت متعلمة في وقت الأمية، واستغلت علومها ومعارفها في الإدارة العامة والتطبيب، ولم تهمل تعليم غيرها، فكانت أم المؤمنين حفصة بنت عمر إحدى تلميذاتها، وعُرفت لاحقًا بلقب **أول معلمة في الإسلام**. اسمها الكامل **الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس العدوية القرشية**، فهى "بنت عبد الله بن عبد شمس بن عدى بن كعب القرشية العدوية"، وأمها هى بنت أخت جدة سيدنا محمد **(ص)** لأبيه .وكانت شهرتها هذه من قبل الإسلام، حيث كانت شهيرة بالرقية وبأنها من القلائل الذين يجيدون القراءة والكتابة فى أيام الجاهلية. ولكن اسمها الحقيقي **"ليلى"** وكانت تكنى **بأم سليمان**، إلا أنها فضلت تغييره إلى **"الشفاء"** إشارةً إلى مهنتها كممرضة وطبيبة، واشتهرت آنذاك بمهاراتها في مداواة الأمراض الجلدية[34]، وتحديدًا **بـ"رقية النملة"**، و هو مرض جلدى أو نوع من أنواع التقرحات التى تصيب الجلد، فأمرها النبي ﷺ بتدريب النساء الأخريات. كانت "الشفاء بنت عبد الله العدوية"، نموذج آخر للمرأة المثقفة المتعلمة ذات الشخصية القيادية التى اشتهرت بعلمها ومعارفها ودورها المؤثر فى دولة الإسلام منذ بداياتها قبل الهجرة وحتى بعدها، ولم تشتهر بحسبها ولا نسبها ولا زوجها على الرغم من أنها تنتسب إلى قبيلة كبيرة . وكانت "الشفاء العدوية" من أوائل الذين دخلوا الإسلام من قبل الهجرة، وتحملت ما تحمله المسلمون الأوائل من إيذاء المشركين وحين أذن الله بالهجرة، هاجرت معهم.وبعد أن دخلت "الشفاء" الإسلام وهاجرت مع النبى ﷺ رفضت أن تمارس عملها السابق فى الرقية قبل أن تستشير الرسول ﷺ، **فيروي عنها ابن منده،**

أنها ذهبت للرسول ﷺ وقالت: "يا رسول الله إنى كنت أرقى برقى الجاهلية وأردت أن أعرضها عليك، قال: "فاعرضيها"، قالت: فعرضتها عليه، وكانت ترقى من النملة، فقال: "أرقى بها وعلميها حفصة". إلى هنا تنتهى رواية ابن منده، **وزاد أبو نعيم:** "باسم الله صلو صلب خير يعود من أفواهها، ولا يضر أحدًا، اكشف البأس رب الناس". قال: "ترقى بها على عود كركم سبع مرات، وتضعه مكانًا نظيفًا، ثم تدلكه على حجر بخل خمر مصفى، ثم تطليه على النَّمْلة". وهكذا استمرت "الشفاء" فى عملها وعلاج المسلمين حتى لقبت بـ**"صاحبة النملة"** فى إشارة إلى قدرتها على علاج هذا المرض.لم تشتهر "الشفاء" فحسب بقدرتها على العلاج ولا معرفتها القراءة والكتابة وإنما أيضًا عرفت بالعقل الراجح والاتزان حتى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقدر لها ذلك ويثق برأيها وكان يهتم به ويقدمه على غيرها أيضًا.وعُرِف أيضًا أنه ولاها مسؤولية فى السوق، إلا أن كتب الأثر لم تحدد طبيعة المهام ولا المسؤوليات التى تولتها الشفاء العدوية فى السوق، ولكن ما روى عنها يدل على أنها كانت تتولى مسؤولية السوق حيث روى عن **أبو خيثمة** أنه قال: رأت الشفاء بنت عبد الله فتيانًا يقصدون فى المشى ويتكلمون رويدًا، فقالت: ما هذا؟ قالوا: نساك، فقالت: "كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله ناسك حقًّا" .هذا المنصب الذى تولته "الشفاء" يضرب مثالاً مشرفًا على تمكين المرأة فى الإسلام وتوليها زمام الأمور طالما كانت مؤهلة لذلك، وهو أيضًا ما يكذب ادعاءات الظلاميين عن أن النساء لا يجب أن تتولى سلطة ولا أمرًا ولا يجب يؤخذ برأيها، بل أن البعض يتمادى ويقول إن النساء لا يجب أن يتعلمن وهو ما تكذبه بشكل كامل قصة "الشفاء بنت عبدالله العدوية" التي كانت من القلائل الذين تعلموا القراءة والكتابة تولت مهمة تعليمها لنساء المسلمين، وكانت تتولى بالإضافة إلى ذلك مهمة متابعة تعليم الصبيان، كما أن الرسول ﷺ جعلها معلمة لزوجته حفصة بنت عمر بن الخطاب(رض)**.** وقد منحها النبي ﷺ دارًا عند الدكاكين بالمدينة فنزلتها مع ابنها سليمان وأصبحت **تلك الدار مركزًا علميًا للنساء،** ورغم العلم الذي اكتسبته الشفاء قبل دخولها الإسلام، فإنها لم تمارسه إلا بعد أن عرفت حكم الشرع فيه، فلما سمح لها النبي بممارسة ما تتقن من مهارات خدمت به الناس وعلمت غيرها القراءة والكتابة ومعالجة الأمراض والجروح وصاحبت النبي ﷺ في غزاوته لتداوي الجرحى.

3- أميمة بنت قيس بن أبي الصلت الغفارية[35]: أمية أو اميمة بنت قيس الغفارية المتخصصة في جرحى الحروب، كانت زعيمة الطبيبات ولم تبلغ سن السابعة عشر من عمرها بعد. (ليس لها ترجمات كثيرة في كتب التراجم) ، وقد ذكرها **ابن الأثير في اسد الغابة وابْنُ سَعْدٍ في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة** ، وقال: أسلمت وبايعت بعد الهجرة شهدت مع رسول الله ﷺ، خَيْبَر. أخبرنا **أبو جعفر** بإسناده عن **يونس،** عن **ابن**

إسحاق قال: حدثني سليمان بن سُحَيم، عن **أمية بنت أبي الصلت**، عن امرأة من بني غفار قالت: "جئت رسول الله **(ص)** في نسوة من بني غفار، فقلنا: "يا رسول الله، إنا قد أردنا أن نخرج معك في وجهك هذا إلى خيبر". ذكره ورواه **أبو داود** في سننه . كذلك أسد الغابة في الطبقات الكبير: أخبرنا محمد بن عمر، حدّثني أبو بكر بن عبد الله بن أَبِي سَبْرَة، عن سُلَيمان بن سُحَيم، عن أمّ عليّ بنت أبي الحكم، عن أميّة بنت قيس أبي الصَّلت الغفَارِيّة قالت: جئتُ رسول الله **(ص)** ، في نسوة من بني غِفَار فقلنا: إنّا نريد يا رسول الله أن نخرج معك إلى وجهك هذا، تعني خيبر، فنُداوِي الجرحى ونُعين المسلمين بما استطعنا. فقال رسول الله ﷺ" :على بركة الله "قالت فخرجنا معه ...فلمّا فتح الله لنا خَيبر رَضخ لنا من الفيء ولم يسهم لنا، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها وعلّقها بيده في عنقي، فوالله لا تفارقني أبدًا. فكانت في عنقها حتى ماتت وأوصت أن تُدفن معها.

4- أم العلاء الأنصارية[36] من المدينة عاشت في عصر النبوة وكانت من المسلمات الأوائل المبايعات للرسول ﷺ تخصصت في تمريض المرضى وعلاجات غير محددة وقد ذكرها ابن الأثير في اسد الغابة.

5-وإضافة إلى دور نسيبة بنت الحارث المعروفة أيضًا باسم **أم عطية** التي صاحبت الرسول في 7 غزوات، وكانت في كل مرة ترعى الجرحى في ساحات المعارك وتزودهم بالماء والطعام والإسعافات الأولية.

6-سَودة بنت مِسْرح ومن القوابل -طبية نساء وولادة- اللَّاتي اشتهرن في زمن النبوَّة، و **سَودة بنت مِسْرح**، هي التي كانت تُقْبِل فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

ثانيًا: طبيبات الحضارة الاسلامية في عصر ما بعد النبوة :

فكما في صدر الاسلام كذلك في العصور التالية له، فإنَّ المرأة العربية المسلمة لم تقف أمام علم الطب موقف العازف منه؛ بل غشيته ومارسته مثل:

1- أمَّ الحسن بنت أبي جعفر الطنجالي[37] التي تعلَّمت الطب من والدها أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمي الطنجالي، الذي يعد من أحد شيوخ لسان الدين بن الخطيب الذي جاء الأندلس قادما إليها من المغرب، وقد كان ملما بصناعة الطب معتنيا بها، ولي قضاء بلوشة، وهي مدينة بالأندلس غربي البيرة قبل قرطبة، وبينها وبين قرطبة عشرون فرسخا. وقد مات في الطاعون.

وكان قد أسهم بحظ وافر في تكوين ابنته ام الحسن العلمي، إذ تشير كتب التراجم إلى أنها أخذت عنه صناعة الطب. ولم تكن ملمة بأصول صناعة الطب فحسب، وإنما كانت تدرسه لطلابها إيمانا واقتناعا منها بأن العلم لا يؤخذ من بطون الكتب ولكنه يؤخذ من حلقات الدرس والعلم. لم يذكر المؤرخون معلومات دقيقة عن تاريخ ولادتها أو وفاتها، ولا نعرف سوى أنها عاشت في خلال القرن الثامن الهجري، أي أنها ولدت وعاشت قبيل سنة 750هـ وهي سنة وفاة والدها.

ونستخلص هنا ان بنت أحمد ترعرعت في أحضان الكتب و الحلقات العلمية، فأجادت قراءة القرآن بقواعده وشاركت أباها البحث في قضايا الطب.. لم تكن **أم الحسن** بارعة في الطب وحده بل برزت في الشعر أيضا ، وصفها ابن الخطيب بأنها كانت نبيلة حسيبة وقد تركت فراغا بعد وفاتها نظرا لمكانتها الكبيرة لدى الجميع .. و هذا ما وصلنا من شعرها:

الخط ليس له في العلم فائـدة وإنما هـو تزيين بـقرطـــاس
والدرس سؤالي لا أبغي به بدلا بقدر علم الفتى يسمـو على النـاس

2- زينب طبيبة بني أود[38]**:** كانت أول طبيبة برعت فى مجال الرمد وعلاج أمراض العيون . وهى طبيبة من بنى أود كانت عارفة بأعمال الطب ومشهورة بين العرب بمداواة مرضى العيون من الالتهابات والجراحات الصعبة[39]، فمن كان يمرض بين القبائل ويصاب فى عينه كان يتجه إليها لشهرتها بسرعة تداويها. فقد اشتهرت فى أواخر الدولة الأموية ذكرها ابن ابي اصيبعة في طبقات الأطباء ، وقد جاء فى كتاب أعلام النساء لكاتبه عمر رضا، وكانت تعالج بالمواد الطبيعية والأعشاب وكانت الوحيدة على مستوى القبائل والأطباء فى ذلك الوقت، حيث أخذت شهرة كبيرة بالعلاج.

وقال أبو الفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى الكبير: "أتيت إلى امرأة من بنى أود لتكحلنى من رمد كان قد أصابتنى، فكحلتنى ثم قالت: "اضجع قليلا حتى يدور الدواء فى عينيك، ولم تتركنى أذهب حتى شفيت".

3- **الطبيبة عائشة ابنة محمد ابن الجيار**، محتسب مدينة سبتة خلال القرن 8هـ، فقد تلقت الطب على يد صهرها الطبيب المشهور محمد الشريشي الذي عاصر السلطان أبي عنان المريني، واحتل مكانة مميزة عند الخاصة والعامة. علمها علم الطب وأسرار الأدوية والعقاقير والمياه وعلاماتها، وبسبب علمها الكبير وسمو أخلاقها ائتمنها سلاطين بني مرين على صحة حريمهم، لقد كانت الطبيبة الخاصة لنساء السلطان، نبغت في الصناعة الطبية لقد كانت عارفة بالعقاقير، وكذلك بالمياه وعلاماتها . فهي نموذج المرأة التي ترسخ فكرة موسوعية الطبيب ونبوغه في معارف متعددة سواء كان ذكرا أم أنثى ، ولطالما أجازها الأمراء بالهدايا والتحف. هذا يعني بأن صيتها فاق مسقط رأسها ليبلغ دار الملك آنذاك الحاضرة فاس، من ثم الى باقي حواضر المغرب المريني، لأن ملوك بني مرين، وخصوصا منهم أبا الحسن وأبا عنان كانا يتنافسان في العمران ودعم العلوم وأهلها، فانتشرت في عهديهما البيمارستانات بكل ربوع مملكتهما، وازدهرت العلوم، ومنها العلوم الطبية. عمرت الطبيبة عائشة طويلا، إذ توفيت عن عمر ناهز السبعين سنة. ولا ريب، أنها استفادت من بيئتها، وأفادت معاصريها ذكورا وإناثا. فنقل العلوم من فرد إلى آخر ومن أمة إلى أخرى لا يتم إلا إذا كان هناك تقارب بين الأفراد والشعوب في مستوى الثقافة ونوعها.

بالفعل، كانت لأطباء سبتة دكاكينهم على غرار أطباء باقي حواضر المغرب، بل أطباء الحوض المتوسط. وهم بذلك حافظوا على إرث قديم ممثل في توفر جهابذة الطب منذ

العصور السابقة للإسلام على دكاكين يستقبلون فيها مرضاهم ويعرضون فيها مفرداتهم الطبية. فضلا عن ذلك، كان أطباء سبتة ملمين بكتب الطب القديم، ككتب **الأطباء الإغريق أبقراط وديسقوريدوس وجالينوس.** استفادوا أيضا من كتب الأطباء المسلمين المتأخرين، ومنهم **الرازي وابن سينا وابن طفيل والزهراوي** وغيرهم كثير.

كانت الخزانة الموجودة شرقي صحن الجامع العتيق بسبتة توفر هذا النوع من الكتب لقرائها. ولعل الأمر كان كذلك بالنسبة لباقي حواضر المغرب، ومنها بغداد المغرب فاس وحاضرة دار الحكمة مراكش. فمنذ العصر المرابطي شكلت كتب جالينوس مرتكز الدراسات الطبية، وكان مؤلف الطبيب **علي بن العباس المجوسي "الملكي" أو " كامل الصناعة"** هو أول مؤلف يبدأ التلاميذ في معرفته، في حين لم يعتمد الطبيب الوالد أبو العلاء ابن زهر، المعاصر ليوسف بن تاشفين المرابطي، على كتاب **القانون لابن سينا** الذي كان أحد التجار قد استقدم نسخة منه منذ هذه المرحلة. ونرى بأن هذا المصدر أضحى معتمدا خلال عصر الطبيبة عائشة سالفة الذكر من لدن الأطباء المعاصرين لها، و كانت هي نفسها عارفة بالعقاقير، فلا شك أنها استفادت من ذخائر الكتب الطبية، وعلى رأسها كتب المفردات الطبية التي كانت تجارتها رائجة، إلا أننا لا نجد أدنى إشارة حول استمرار تداول أطباء المرحلة **لمؤلف أبي حنيفة الدينوري الخاص بالنبات،** إذ شكل أهم الكتب التي أتقنها أبو محمد عبد الله بن الحفيد أبي بكر بن زهر خلال القرن السادس الهجري (توفي 602 هـ)، كما لا نعرف مدى استفادت الطبيبة السبتاوية من كتب **ابن البيطار** وعلى رأسها كتاب **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية.** ولا شك أن كتب علماء النبات وسائر الأطباء كان رائجاً عهد الطبيبة عائشة وبعد ذلك بالحواضر الكبرى المغربية، ومنها سبتة.

5- طبيبات بني زهر[40]**:**

لا يمكن فصل الطبّ طيلة ثلاثة قرون عن هذه عائلة آل ابن زهر ، بذكورها وإناثها، وخدمتهم في بلاط الأندلس ثم المرابطي والموحدي من بعدهم، واشتغال نساء طبيبات في ذلك العصر يدلّ على أن المرأة لم تكن بمعزل عن المشاركة في العلوم الطبيعية التطبيقية.لم تقتصر نوابغ هذه الأسرة وما قدموا للطب من إسهامات جليلة على الرجال فحسب، بل كان لنسائها أيضا دور فعال[41]، فلقد خرّجت هذه العائلة طبيبات ذاع صيتهم في الأرجاء..

وقد امتدح **جورج سارتون،** صيدلي ومؤرخ بلجيكي كان يعد مؤسس علم تاريخ العلوم، ابنَ زهر في **كتابه "المدخل إلى تاريخ العلوم"**، فقال: "إن أبا مروان تميز عن غيره في حقل الطبّ في شرق وغرب الدولة الإسلامية، بل إنه أعظم طبيب في عصره في العالم أجمع". من هنا يتبيّن سر عبقرية ذكور وإناث عائلة ابن زهر في مجال الطبّ. كان «ابن زهر» طبيب المعتمد بن عباد في أشبيلية، وأضحى طبيبا خاصا ليوسف بن تاشفين عندما جاء مع عائلته إلى المغرب قادما من الأندلس بعد فتح المرابطين لها. ولا عجب أن تنقطع بنات ابن زهر وحفيداته لخدمة البيت المالك، وبرعت نساء عائلة ابن زهر في الطب بفضل براعة جدّهم ابن زهر، الذي توارثوا عنه مهنة التطبيب، فهذا

الطبيب كانت له أبحاث أبحاثهم تختصّ بعدد من الأمراض منها قروح الرأس، خاصة لدى الأطفال، من قرع وداء الثعلب وداء الحبة والصلع وغيرها.. وأمراض الرأس والأذنين وأمراض الأنف وأمراض الفم وأورامه وأمراض العين، كما تناول ابن زهر أمراض الرقبة وأمراض الرّئة وأمراض القلب والكبد والمَعدة وأمراض الصدر والكلى، ويشار إلى كتابه في علم الأغذية، الذي يستحق العناية والتقدير، فهو يشتمل على مبادئ علم الصحّة العامة كذلك. من هنا تفهَم مهارة نساء ابن زهر المشتغلات في ميدان الطب والعلاجات[42] ومساهماتهنّ في تطبيب وعلاج نساء حكام المرابطين والموحدين، حيث طبقت شهرة الإناث المنتميات إلى عائلة «ابن زهر» الآفاق في العهد الموحدي، حيث أجزلن عطاءهنّ لخدماتهن المتميزة فى مجال الطب.فهذه **أخت الطبيب الحفيد أبي بكر محمد بن أبي مروان أبي العلاء بن زهر**، أشهر أطباء عصره، نجدها تشرّبت مهنة الطب من عائلتها وأضحت عالمة بصناعة الطب والمداواة، ولها خبرة جيدة في ما يتعلق بمداواة النساء، وكانت تدخل على نساء المنصور أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن. وأكد ذلك ابن أبي أصيبعة قائلا: «إن أخت الحفيد وابنتها كانتا تدخلان إلى نساء المنصور.«كانت لأخت الطبيب الحفيد أبي بكر سمعة مرموقة في علاجها للمرضى، وخاصة النساء منهم، حيث أصبحت من أشهر الأطباء في عصرها، كانت مولّدة ماهرة، إلى جانب قدرتها على العلاج العامّ لسائر أمراض النساء.. وعند وفاتها خلفتها ابنتها، التي امتهنت الطب وذاع صيتها في الولادة وعلاج بعض أمراض النساء المستعصية، وكانت مقصد النساء من كل حدب وصوب.أمّا **أم عمر بنت أبي مروان بن زهر** فكانت طبيبة دار المنصور، وكانت تداوي نساء القصر وأطفاله وكانت تُستفتى في الطب.. وتتلمذت على يد «أم عمر» ابنتها، المعروفة **بابنة أبي العلاء**، وبدورها كانت عالمة بصناعة الطب والولادة، وامتازت بمعرفتها لصناعتها ومهارتها في الطب النظري والتطبيقي.

فالمنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المومن الموحدي، كما ذكرنا سابقا، لم يكن يقبل لمداواة نسائه وأطفاله وإيمائه إلا أمّ العلاء بنت أبي مروان عبد الملك بن زهر، أخت الحفيد، التي تعلمت الطب على يد والدها، وتميزت في الولادة وأمراض النساء، وربما كانت تستفتي لرجالهم.. وعندما توفيت احتلت ابنتها مكانتها في القصر المالك. لقد كانت كوالدتها ماهرة في التوليد. وفاطمة **حفيدة ابن زهر هي ابنة الطبيبة السابقة الذكر، وحفيدة ابن زهر، تعلمت الطب من أمها وخالها ابن الحفيد، فصارت لها خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء، رافقت أمها منذ صغرها، وكانت تدخل معها إلى نساء المنصور الموحدي، ثم خلفت مكانها بعد وفاتها وقد حظيت الطبيبة بعناية خالها حيث كانت تلازمه في البلاط والمنزل، ولاشك أنها أخذت منه الشيء الكثير، وقرأت كتبه القيمة واتبعت توجيهاته. وتوفيت فاطمة في نفس الوقت مع خالها الحفيد ابن زهر بعد تناولها للسم كما سلف ذكره.**

كانت لـ"ابنتي زهر" رئاسة الطب النساء داخل القصر الملكي، وهذا يشير إلى ارتقاء شأن الطب والطبيبات في هذا العصر وما صاحبه من كثرة المؤلفات الطبية. لقد خلد التاريخ اسم ابن زهر، واستمرت عطاءات العائلة في مختلف الأزمنة رغم الصراعات السياسية التي عاصروها، وهذا إن دل على شاء فإنما يدل على أن اهتمام السلاطين بالعلم والعلماء لم يكن يتوقف تحت أي ظرف كان..من هنا يتضح أنّ النساء في المغرب والأندلس لم يكن سجينات بيوتهنّ واحتللن مكانة رفيعة [43]. وأطباء آل زهر من الذكور والإناث علا شأنهم في الدولتين المرابطية والموحدية، وكان الملوك، وإن اختلفت نظمهم ودولهم، يُعلون شأن العلماء، ولو كانت لهم صلات حميمة بملوك الدّول السابقة [44] .

يقال إنه لكل قاعدة استثناء،لأنه إذا كانت معظم النساء الطبيبات، ومنهن بنات ابن زهر، استفدن من أسرهم في تعلم الطب ، ومكنتهن مهارتهن من جهة ووسطهن الاجتماعي من جهة من الشهرة والنبوغ، فهناك أطباء مشهورون استفادوا من خبرة النساء، نذكر منهم على سبيل المثال **غلام الحرة زوجة المنضري حاكم** مدينة شفشاون المغربية الذي تعلم الطب على يد قابلة، لم يحفظ اسمها، كانت عارفة كذلك بالحشائش والأدوية. وقد اعتمد الطبيب المشهور **أبو القاسم الزهراوي** هو نفسه على النساء في معالجة مرضاه، إذ كان يقف خلف ستار خفيف ويعطي للقابلات إرشاداته التي تناسب الحالات العسرة.

6- تُفيدنا كتب التراجم بعدد كبر من الطبيبات عرفن في العصور الاسلامية المختلفة ، كان منهنَ **أم الحسين بنت أحمد بن عبد الله الهاشمي** التي كانت طبيبة أديبة وأنَّ **زينب بنت محمد بن الحسن، وزينب بنت محمد الحسينيَّة الشهاريَّة** تعلَّمتا السيمياء (الكيمياء)، وأنَّ **سارة الحلبيَّة** كانت طبيبة ماهرة، وتكتب خطًّا جيّدًا، وتحل الذهب بمعرفة وخبرة، وأنَّ **مريم بنت كوشيار الجيلي** كانت من أهمِّ علماء الفلك في القرن العاشر، وأسهمت في تطوير صناعة آلة مقياس النجوم (الأسطرلاب). وهناك الطبيبة **فريدة الكبرى** التي ذكرها الأصفهاني في كتاب الأغاني حيث عاشت في العصر الاموي وهي جارية من الحجاز جاءت الى الشام، وقد تخصصت بعلاج امراض النساء وفي الكحالة[45].

كما وقد ذكر الاصفهاني في كتابه الأغاني عدد لا بأس به من الطبيبات في العصور الاسلامية ، مثل **خرقاء العامرية** من الجزيرة العربية عاشت في العصر الأموي وتخصصت في الكحالة، **وسلامة القس** جارية وشاعرة ومغنية، من المدينة انتقلت الى الشام في العصر الأموي، وقد تخصصت في امراض النساء والتوليد، و**حبابة**[46] من جواري الخليفة الأموي التي تخصصت في امراض النساء والتوليد، وقد توفيت سنة 105هـ في البصرة **ومتيم الهاشمية** التي كانت جارية وشاعرة وعارفة بالأدب والغناء وتخصصت بعلاج امراض النساء والتوليد، توفيت 224هـ في البصرة، و**رحاص** كانت جارية ومغنية وطبيبة تخصصت في علاج امراض النساء في بغداد توفيت 245هـ، **ومحبوبة**، ايضا جارية من العراق تخصصت في امراض النساء والتوليد توفيت سنة 247هـ، **وفضل جارية المتوكل** الخليفة العباسي كانت شاعرة وطبيبة نساء وتوليد، وهي من بغداد توفيت 257هـ.

كما ان هناك عدد من الطبيبات والقابلات مثل **ام اسية** التي عاشت في مصر خلال حكم الدولة الطولونية وكانت قابلة اولاد السلطان خمارويه، ذكرها ابن الداية في حسن العقبى، **وام احمد** القابلة ايضا التي برعت في ممارسة مهنة طب النساء والقبالة وقد اشتهرت لانها كانت تعالج وتولد لوجه الله عاشت في مصر خلال العصر المملوكي، ذكرت في تحفة الأحباب للسخاوي، **وجارية ابي عبدالله الكناني** من المغرب العربي التي برعت في علم الطبائع والتشريح توفيت في القرن الخامس هجري، ذكرها ابن عذارى في البيان المغربي، **وابنة شهاب الدين الصائغ** من مصر التي عاشت سنة 1036 وقد تولت مشيخة الطب في عصرها وذكرت في خلاصة الأثر للمحبى.

الخاتمة:

وفي الختام نستخلص انه لا يمكن إعادة بناء الحضارة الإسلامية بدون اعتبار إضافات النساء المسلمات وإسهاماتهن الحيوية في كل المستويات الاجتماعية. وعليه لابد من إعادة تقييم هذه الإسهامات ودورهن في بناء الحضارة بهدف إيقاض روح الابتكار في المجتمعات العربية الإسلامية اليوم. ذلك لان أهمية إعادة بناء الفكر الإسلامي يكون في جزء كبير منه، من خلال إسهامات جميع مكونات المجتمع لبناء عصر إسلامي جديد. ولكن يجب أيضا إعادة تعريف مصطلحات هذا الإصلاح للفكر الإسلامي الذي مع كل الجهود المبذولة لم يبدأ بعد.

لا أحد يشك اليوم في أهمية إسهام النساء في انتقال المعرفة والقيم في المجتمعات المعاصر، ولكن ثقل العادات الثقافية وبعض القراءات الإقصائية للنساء يمثل حاجزاً حقيقياً لبناء مجتمع متساوٍ ينطلق من نهضة الحضارة العربية الإسلامية، هذه الحضارة التي لن تستطيع أن تكون نموذجاً للتقدم إلا عندما تستعيد العلم الكوني باعتباره ذو فائدة للإنسانية كلها وأن الرجال والنساء المسلمين يساهمون على حد سواء في هذه الحضارة الإنسانية العالمية.

وبهذا العرض نلاحظ ان المجتمعات الإسلامية استفادت من مهارات النساء العلمية وخاصة الطبية، وقدراتهن المتنوعة في الحيز العام، علمًا بأن غالبية الطبيبات المذكورات في كتب التاريخ كن على علاقة وثيقة بالحكام أو صفوة المجتمع، ما يعني أن المؤرخين ركزوا في أحاديثهم على النساء المشهورات، ما يجعلنا نعتقد أن هناك عددًا أكبر من الطبيبات المسلمات اللاتي لم تُذكر أسماؤهن ولم تصل إلينا بسبب مكانتهن الاجتماعية المتواضعة.

الهوامش:

) 1صبحي الصالح، النظم الاسلامية نشأتها وتطورها ، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة الثانية، 1388هـ/1968م صفحة 442
) 2صبحي الصالح، المرجع السابق ، صفحة 441
) 3صبحي الصالح، المرجع السابق ، صفحة 445-446
) 4صبحي الصالح، المرجع السابق ، صفحة 460
) 5صبحي الصالح، المرجع السابق ، صفحة 461
) 6صبحي الصالح، المرجع السابق ، صفحة: 444- 445
7) حسان حلاق، تاريخ العلوم والتكنولوجيا عند العرب ، دار النهضة العربية -بيروت، طبعة اولى، 1428هـ/ 2007م، ص:17
عمر فروخ وماهر عبد القادر وحسان حلاق، تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية -بيروت، طبعة اولى، 1410ه/1990م، ص: 164-166
8) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص:18-19
) 9ابن قيم الجوزية : الطب النبوي، تحقيق محمد فتحي ابو بكر،الدار المصرية اللبنانية، طبعة ثانية 1994م
10) ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا ، مكتبة الحياة -بيروت ص:7
11) ابن قيم الجوزية : المصدر السابق، ص:8
12) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: 22
13) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: 19
14) هدى السعدي واميمة ابو بكر . النساء ومهنة الطب في المجتمعات الإسلامية من سلسلة اوراق الذاكرة في مؤسسة المرأة والذاكرة سنة 2004م، ص: 7.
15) هدى السعدي واميمة ابو بكر .المرجع السابق.ص:8
16) هدى السعدي واميمة ابو بكر . المرجع السابق، ص:9
17) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: 23
18) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، مطبعة عز الدين -بيروت 1992 جزء اول ، ص: 383-384،
19) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: 20
20) هدى السعدي واميمة ابو بكر . المرجع السابق، ص:12
) 21صبحي الصالح، المرجع السابق ، صفحة 328-330
22) هدى السعدي واميمة ابو بكر . المرجع السابق، ص:14
23) سلمى الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس، الجزء لثاني ، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، ط2 ، 1999، ص:1010
24) ابن ابي اصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نسخة بيروت ، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة -بيروت 1965
25) عمر فروخ وآخرون ، المرجع السابق، ص: 166
26) هدى السعدي واميمة ابو بكر . المرجع السابق، ص:14
27) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: 22
) 28صبحي الصالح، المرجع السابق ، صفحة 368
29) عبد الرحمن المصطاوي ، اشراف عبد المجيد طعمة حلبي ، أعلام النساء ، دار المعرفة-بيروت، طبعة اولى 1423هـ/2002م ص:28

30) وجدنا كلمة "آسى" في لسان العرب بمعنى طبيب وهي الكلمة المستخدمة في كثير من المصادر اشارة الى هؤلاء المجاهدات الصحابيات.
31) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: 22
32) عبد الرحمن المصطاوي ، الرجع السابق، ص: 107
33) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: 22
34) عمر فروخ وآخرون ، المرجع السابق، ص: 168
35) عبد الرحمن المصطاوي ، اشراف عبد المجيد طعمة حلبي ، أعلام النساء ، دار المعرفة-بيروت، طبعة اولى 1423هـ/2002م، ص:28
36) عبد الرحمن المصطاوي ، مرجع سابق، ص: 38
37) عبد الرحمن المصطاوي ، مصدر سابق ، ص: 34
38) عمر فروخ وآخرون ، المرجع السابق، ص: 166
39) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: 22
40) عمر فروخ وآخرون ، المرجع السابق، ص: 169
41) حسان حلاق ، المرجع نفسه، ص: 22
) 42سلمى الخضراء الجيوسي، المرجع السابق ، ص:1012
43) سلمى الخضراء الجيوسي، المرجع السابق ، ص: 1011
44) سلمى الخضراء الجيوسي، المرجع السابق، ص: 1008-1009
45) ابن ابي اصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص: 181 و أبي الفرج الأصبهاني 356ه/967م، اخبار النساء في كتاب الأغاني، ص:41-47
46) عبد الرحمن المصطاوي ، الرجع السابق، ص: 80

المراجع:

1. أبي الفرج الأصبهاني 356ه/967م، **اخبار النساء في كتاب الأغاني**، جمع وشرح عبد الأمير مهنا، نشر مؤسسة الكتاب الثقافية- بيروت، الطبعة الخامسة، دون تاريخ نشر.
2. ابن ابي اصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، نسخة بيروت، شرح وتحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة بيروت،1965
3. ابن قيم الجوزية : **الطب النبوي**، نسخة المكتبة التوفيقية -القاهرة 1983
4. احمد مختار العبادي :**محاضرات في الحضارة الاسلامية**، مطبعة كريدية بيروت 1978.
5. آدم ميتز : **الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري**، مجلد 1 و2 تعريب محمد عبد الهادي ابو ريدة ، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الخامسة.
6. الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، مطبعة عز الدين -بيروت 1992 جزء اول
7. أميمة أبو بكر و هدى السعدي. **النساء ومهنة الطب في المجتمعات الإسلامية** من سلسلة أوراق الذاكرة مؤسسة المرأة والذاكرة سنة 2004م.
8. بلال غيث، بحث **دور المرأة المسلمة في العلوم ومساهمة العرب في الحضارة الإنسانية**، جريدة الخليج -الشارقة 2008/3/26
9. حسان حلاق ، **تاريخ العلوم عند العرب**، دار النهضة العربية- بيروت 1991

10. سلمى الخضراء الجيوسي، **الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس**، الجزء لثاني ، مركز دراسات الوحدة العربية -بيروت، ط2 ، 1999
11. صبحي الصالح، **النظم الاسلامية نشأتها وتطورها**، دار العلم للملايين-بيروت، ط2، 1968م.
12. عبد الرحمن المصطاوي ، اشراف عبد المجيد طعمة حلبي ، **أعلام النساء** ، دار المعرفة-بيروت، طبعة اولى 1423هـ/2002م
13. عمر فروخ : **عبقرية العرب في العلم والفلسفة**، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الرابعة
14. ماهر عبد القادر وعمر فروخ وحسان حلاق، **تاريخ العلوم عند العرب**، دار النهضة العربية -بيروت،1990
15. محمود مهدي، في صدر الإسلام .. **المرأة العربية بطلة في المعارك!** 22-2-2018

ملحق :

أسماء الطبيبات البارزات في العصور الاسلامية الوارد ذكرهم في هذا البحث:

1. ابنة شهاب الدين الصائغ
2. أخت الطبيب الحفيد أبي بكر محمد بن أبي مروان أبي العلاء بن زهر
3. ام احمد
4. ام اسية
5. أمّ الحسن بنت أبي جعفر الطنجالي
6. أم الحسين بنت أحمد بن عبد الله الهاشمي
7. ام الربيع
8. أم العلاء الأنصارية
9. أمّ العلاء بنت أبي مروان عبد الملك بن زهر
10. ام سليم
11. أم سنان السلميَّة
12. ام عطية نسيبة بنت الحارث
13. أم عمر بنت أبي مروان بن زهر
14. أميمة بنت قيس بن أبي الصلت الغفارية
15. جارية ابي عبدالله الكناني
16. حبابة
17. حمنة بنت جحش بن رياب تُكنَّى أم حبيبة
18. خرقاء العامرية
19. الربيع بنت معوض
20. رحاص
21. رفيدة بنت سعد الأسلمية
22. زينب بنت محمد الحسينيَّة الشهاريَّة
23. زينب بنت محمد بن الحسن

24. زينب طبيبة بني أود
25. سارة الحلبيَّة
26. ست الشام خاتون
27. سلامة القس
28. الشفاء بنت عبد الله العدوية
29. عائشة ابنة محمد ابن الجيار
30. **فاطمة** حفيدة ابن زهر
31. فريدة الكبرى
32. فضل جارية المتوكل
33. كريمة بنت كلثوم الحميريَّة
34. كعيبة بنت سعد بن عتبة
35. ليلى الغفاريَّة
36. متيم الهاشمية
37. محبوبة
38. مريم بنت كوشيار الجيلي
39. معاذ الغفارية